حكم النظر إلى الكعبة داخل الصلاة وخارجها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الله الزركشي رحمه الله في كتابه إعلام الساجد في أحكام المساجد – ذكر وهو يتكلم عن البيت الحرام في خصائصه وأحكامه في (ص ١٠٤) كلاماً جيداً يتضمن الحكم في الموضوع مما أظنه كافاً، وهذا نصه: قال رحمه الله:

الثالثة عشرة:

أن نظر المصلي إلى موضع سجوده أفضل مما سواه، فلو كان يصلي في المسجد الحرام؛ فهل الأولى النظر إلى الكعبة لترتب الثواب على مجرد النظر وإن لم يكن في صلاة، أو المحافظة على النظر إلى موضع السجود لأنه يجمع القلب، والنظر يلهي عن الخشوع الذي هو مقصود الصلاة وشرط صحتها على وجه عندنا، أو يفصل بين من يلهو بالنظر وبين غيره هذا محل نظر.

وظاهر كلام ابن أبي الصيف اليمني السابق أن المشاهدة أولى، وبذلك جزم الماوردي والروياني، كلاهما في الحاوي والبحر في كتاب النذر فقال:

ولذلك فإن المصلي في المسجد الحرام يستحب له أن يشاهد الكعبة ولا ينظر إلى موضع سجوده، وهو نقل غريب.

وقال المحب الطبري في شرح التنبيه:

إن كان مشاهد الكعبة ينظر إليها مع توفر الخشوع فحسن.

قال: والمذهب أنه ينظر إلى موضع سجوده لأنه لا يأمن ما يُشغله.

قلت:

وقد أخرج الحاكم في مستدركه، والبيهقي في سننه، عن زهير بن محمد المكي، عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله أن عائشة: رضي الله عنها كانت تقول: «عجبا للمرء المسلم إذا دخل الكعبة كيف يدع بصره قبل السقف إجلالاً لله تعالى وإعظاما؟! دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ما خالف بصره موضع سجوده حتى خرج منها». وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الحافظ شمس الدين الذهبي في مختصر المستدرك: هو من المنكرات. اهـ.

وأكثر كتب الحديث ذكرت أحاديث صحيحة كلها تدل على نظر المصلي إلى موضع سجوده، ومنها ما ورد في نيل الأوطار للشوكاني رحمه الله (٢٠٦) باب نظر المصلي إلى موضع سجوده والنهي عن رفع البصر في الصلاة.

فاستحب العلماء النظر إلى موضع السجود لأنه أقرب إلى الخشوع، وأما الأحاديث الواردة في النظر إلى الكعبة فيظهر لي أن فيها بعض المبالغة وسأسوقها والعهدة فيها على أصحاب الكتب التي نقلتها منها. والله الموفق.

قال محب الدين الطبري في كتابه – القِرى لقاصد أم القرى – ما نصه، العنوان:

ما جاء في فضل النظر إلى الكعبة.

قال: تقدم حديث الرحمات وفيه عشرون للناظرين.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: النظر إلى البيت الحرام عبادة» أخرجه صاحب مثير الغرام.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «النظر إلى الكعبة محض الإيمان». وعن مجاهد أنه قال: «النظر إلى الكعبة عبادة». وعن سعيد بن المسيب قال: «من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه».

وعن عطاء قال: «النظر إلى البيت يعدل عبادة سنة قيامها وقعودها وركوعها».

وعن ابن السائب المدني: «من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات الورق من الشجر» أخرجهما صاحب مثير الغرام. وعنه قال: «النظر إلى البيت عبادة والناظر إليه بمنزلة الصائم القائم الدائم

المخبت المجاهد في سبيل الله» أخرجه الأزرقي.

وقال تقي الدين أبو بكر بن زيد الجراعي الحنبلي في كتابه: تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد، في (ص ٤٤).

الباب الثالث عشر في فضل النظر إلى البيت ونزول الرحمة عليه.

روى الأزرقي بسنده إلى حسان بن عطية: «أن الله عز وجل خلق لهذا البيت عشرين ومائة رحمة ينزلها كل يوم، فستون منها للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين، قال حسان: فنظرنا فإذا هي كلها للطائفين، فهو يطوف، ويُصلي، وينظر».

وعن إبراهيم النخعي، وحماد بن سلمة قال: الناظر إلى الكعبة كالمجتهد في العبادة في غيرها من البلاد. وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل الله تعالى على هذا البيت كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة، ستون منها للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين».

وعن يونس بن حيان قال: «النظر إلى الكعبة عبادة فيما سواها من الأرض عبادة الصائم القائم القانت.

وعن مجاهد قال: «النظر إلى الكعبة عبادة ودخول فيها دخول في حسنة، وخروج منها خروج من سيئة».

وعن ابن عباس: «النظر إلى الكعبة محض الإيمان.

وعن ابن المسيب قال: «من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً تحاتت عنه الذنوب كما تحات الورق من الشجر.

وعن زهير بن محمد قال: الجالس في المسجد ينظر إلى البيت لا يطوف ولا يصلي أفضل من الصلاة في بيته لا ينظر إلى البيت.

وعن عطاء قال: النظر إلى البيت عبادة، والناظر إلى البيت كمنزلة الصائم القائم المخبت المجاهد في سبيل الله، ونظره إلى البيت يعادل عبادة ألف سنة قيامها وركوعها وسجودها. اهـ.

وما تقدم هو ما رواه الأزرقي في كتابه: أخبار مكة وما فيها من الآثار (٨/٢) في باب: ما جاء في الرحمة التي تنزل على أهل الطواف، وفضل النظر إلى البيت رواه بهذا السند:

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا جدي، حدثني داود بن عبد الرحمن قال: حدثني أبو بكر المقدمي البصري، حدثنا إسماعيل بن مجاهد، حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية: أن الله عز وجل خلق لهذا البيت عشرين ومائة رحمة ينزلها كل يوم...» الحديث المتقدم.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي، حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرني موسى بن عبيدة الربذي، أخبرنا عبد المجيد بن

عمران العجلي، عن إبراهيم النخعي أو حماد بن أبي سلمة قال: «الناظر إلى الكعبة كالمجتهد في العبادة في غيرها من البلاد».

حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي، عن سعيد بن سالم وسليم بن مسلم، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ينزل الله عز وجل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة...» الحديث المتقدم الذي نقله عنه الجراعي الحنبلي في تحفة الراكع والساجد. والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

ملاحظة:

الأحاديث التي ذكرها محب الدين الطبري في كتابه القِرى لقاصد أم القرى، والتي ذكرها أبو بكر الجراعي الحنبلي في كتابه تحفة الراكع والساجد، وهي التي ذكرها أيضاً الأزرقي لم يعزوها إلى أيّ من كتب الحديث حتى يمكن الرجوع إليها وإلى معرفة رجالها. والله أعلم. ولكن – والله أعلم – يظهر ضعفها لأن بعض رجالها لم يصرح به بل قال: عن جده، وكذا يظهر فيها المبالغة جداً.

❖ ❖ ❖